الطابور الخامس الألماني

الطابور الخامس ! لفظتان تنطويان على كل معاني الإرهاب والقسوة والفظاظة والغدر والخيانة ، وتعيد إلى الأذهان تلك المآسي التي كان يمثلها ديوان التفتيش في القرون المتوسطة

الطابور الخامس هو الخطر العصري الذي يهدد المدنية الحاضرة والأمم الديمقراطية والشرائع الحرة التي كتبت بدماء الألوف من أحرار البشر ، بل هي عصابة هائلة تبثها الحكومة النازية في كل أنحاء العالم لتلقى الفساد وتذرع الفتن ، وتنخر كيان الأمم بأساليب شريرة لم يعهدها العالم المتمدن ؛ فالنازية والطابور الخامس اسمان مترادفان لمسمى واحد

كان هدف هتلر في أول أمره أن يستولي على الحكم في ألمانيا ويعدم كل الأحزاب السياسية الألمانية (وكان عددها يومئذ ٣٦ حزباً) التي لا تعتنق المبادىء النازية . وكانت النازية قبل أن يسيطر هتلر على ألمانيا حزباً سياسياً عادياً اعتمدت لبلوغ مأربها خطتين : القوة والدعاية ، فطفقت تنفيذاً للخطة الأولى تتسلح سراً وتعدُّ عُدتها لليوم المنتظر ، وأنشأت تنفيذاً للخطة الأولى « معهداً » كبيراً للدعاية والتمويه والتضليل ، ثم لتخريج طلاب الغدر والخيانة والفتك ، وهم المعروفون اليوم بأعضاء الطابور الخامس

قسم هتلر بعد ما استتب له الأمر أنصاره ورجال حزبه إلى فئات ثلاث : الأولى مؤلفة من أنصاره وأصدقائه الخلص الذين يعرفون أفكاره وغاياته الخفية ، وهم : هيس ، جورينج ، جوبلز ، هملر ، ستريشر ، بُهل ، فون ريبنتروب ، دارّه ، روزنبرج . والثانية مؤلفة من أشخاص لا يعرفون إلا شيئاً من أفكاره وخططه ، ولكنهم مرشحون للانضمام إلى الفئة الأولى . والثالثة مؤلفة من رجال مصلحة التقصي الألمانية ، ومن عصابة «الجستابو» التي يديرها « هملر » . وليس في الفئات الثلاث إلا عدد ضئيل من ذوي المراتب العالية في الجيش

ولكل من هذه الفئات مهمة خاصة ؛ فمهمة الفئة الأولى إنشاء مذهب جنسي أساسه تفوق الجنس الجرماني الآري على سائر الأجناس البشرية لنيل أصله وشرف محتده ، وتأليف ألمانيا الكبيرة التي يجب أن تسود العالم . ومهمة الفئة الثانية تنفيذ خطط الأولى في ألمانيا وخارجها بالدعاية والجاسوسية وغيرها من الأساليب التي يعجز عنها الوصف ، كأن توهم أحياناً أنها ناقمة على النازية لكي تقف على الرأي العام فيها وتعرف البيئات التي تناهضها . ومهمة الفئة الثالثة الاستكشاف وتمهيد السبل للفئة الثانية ، فهي أشبه شيء بفرق الكشافة في الجيش

أما الجستابو فهي العصابة السرية الهائلة التي يديرها « انريك هملر » وتضم ستين ألف رجل وعشرة آلاف امرأة في ألمانيا ، وخمسة آلاف رجل وأربعة آلاف امرأة في البلدان الأجنبية . وفي الجستابو دائرة خاصة مهمتها تزوير الوثائق والجوازات والمراسلات الدولية والأوراق المالية الأجنبية وغيرها . ومن الوثائق المزورة تلك التي أعلنها فون ريبنتروب واتخذها حجة لكي يبرر اجتياح دولته للبلدان الصغيرة ، وما هي في الحقيقة إلا وثائق مزورة مصنوعة في تلك الدائرة

مكتب ريبنتروب

هو دائرة مستقلة تعمل تحت إشراف فون ريبنتروب أولاً وهتلر ثانياً . تجمع كل المعلومات غير الحربية عن البلدان الأجنبية ورؤسائها وساستها وأصحاب النفوذ فيها ، وتُعنى بمعتقدات تلك البلدان الدينية وأحزابها وطرق معيشتها حتى بمسائلها العائلية . ومن هذه المعلومات تستقي مصلحة التقصي الألمانية وتستهدي بها . وعمال مكتب ريبنتروب هم في معظمهم من الأشخاص الذين تقلبوا في المناصب العالية وشغلوا مراكز سياسية هامة في السفارات ونحوها ، وبينهم عدد من النساء اللواتي يعملن أيضاً في دائرة الجستابو

وزارة الدعاية

يرأس هذه الوزارة الدكتور «جوزف جوبلز» ، ومن مهامها التسلط على الرأي العام الألماني ، وحمل الدول على اقتباس المبادئ النازية وإخضاعها لنفوذ ألمانيا الاقتصادي . وفي هذه الوزارة الدوائر الآتية : الدعاية الداخلية ، الدعاية الخارجية ، الراديو ، الصحافة ، السينما ، المسرح ، الآداب والفنون . وفيها قوائم بأسماء كل المؤسسات في العالم ، وقد قسمت إلى مراتب وعرفت بالأوصاف الآتية : « حلفاء » ، « ميالون » ، « قابلون للاستمالة » ، « أعداء » . وقائمة الأعداء ترسل رأساً إلى دائرة الجستابو

صرصة الطابور الخامس

فى سنة ١٩٠٨ أنشئت فى ألمانيا مؤسسة غايتها بث الروح الألمانية فى أبناء الألمان المولودين فى البلدان الأجنبية لكى يحافظوا على جرمانيتهم . وفى سنة ١٩٢١ استعانت الحكومة الألمانية بهذه المؤسسة لكى تجدد عزيمة رعاياها ، وقد وهنت بعد نكبة ألمانيا فى الحرب الماضية ، وتثير فى الأحياء منهم خارج وطنهم العصبية الجرمانية ، وتحول دون إدغامهم فى البيئات الأجنبية . ولما قبض النازيون على زمام الحكم فى ألمانيا وجدوا فى سجل هذه المؤسسة أن ٣٥٫٨٠٣٫٠٠٠ ألمانى يعيشون خارج الحدود الألمانية ، منهم ٧٥ فى المائة تربطهم العاطفة العصبية إرتباطاً متيناً بأمهم ألمانيا ، والفضل فى ذلك عائد إلى مساعى المؤسسة المذكورة التى تعرف اليوم باسم الطابور الخامس الألمانى

وينتخب أعضاء الطابور الخامس من رجال ونساء ذوى جدارة وثقافة ودهاء وحيلة ، وكثيرون منهم يحسنون كتابة وتكلما عدة لغات أجنبية ، ومنهم سياسيون ومهندسون وكيميائيون وعسكريون واختصاصيون بفروع العلم . وتختلف مهامهم وطرق أعمالهم باختلاف البلدان التى يوفدون إليها . أما الهدف فواحد ، وهو خدمة المصلحة الألمانية بأى الوسائل ، لأن الغاية فى شريعتهم تبرر الواسطة . وكانت دعايتهم فى البلدان الأجنبية قبل الحرب تضرب خاصة على وترين : خطر الشيوعية ومكافحتها ، ومصادرة اليهود المرابين الدساسين ؛ فاستهووا بالدعاية الأولى كل خصوم الشيوعية ومقبحى مبادئها ، واستمالوا بالثانية كل العمال الذين يرون فى اليهود صورة الرأسمالية عدوتهم الكبرى

ونشط فى هذه الحرب رجال الطابور الخامس المنبثون فى كل العالم ، وعلى الأخص فى البلدان الديمقراطية ، فقاموا بمهامهم الشاقة ، غير عابئين بالأخطار التى تهددهم فى كل لحظة ، فكانوا من العوامل الأولية التى مكنت الألمان من اكتساح عدة بلدان بتلك السهولة الغريبة ؛ وقد تحقق العالم اليوم أن أولئك الألمان الذين « نفتهم » الحكومة النازية لنقمتهم على الوضع النازى ، أو لكونهم يهوداً ، أو لتزوجهم يهوديات ، ما كانوا فى الحقيقة إلا من أعضاء الطابور الخامس ، وقد خرجوا من ألمانيا بجوازات مزورة مصنوعة فى دائرة التزوير بالجستابو . وقد حضنتهم الدول الديمقراطية وعطفت عليهم حتى كشف لها الواقع أنها ما حضنت إلا ثعابين قتالة كانت تنفث السم فى جسمها وهى غافلة عنها بعامل الشفقة والإحسان .

وكان أولئك « المضطهدون » يتسربون فى كل مكان ويجتمع ويخالطون الجماعات الناقمة على النازية ، لكى يطلعوا على أفكارها وحركاتها ونياتها ، ويرسلون بها تقارير إلى الحكومة النازية « مضطهدتهم » .

أما مهام الطابور الخامس العام فتنقسم إلى أربعة أهداف : الأول دعاية سياسية وثقافية . الثانى تمرين عسكرى . الثالث تجسس اقتصادى . الرابع تجسس صناعى ، كحمل العمال فى البلدان الأجنبية على الإضراب أو تدمير المصانع . والدعاية الفكرية يقوم مبدأها على إظهار تفوق الجنس الآرى ، وهذا مثال منها نشر فى الولايات المتحدة : « إن الولايات المتحدة ما بلغت درجتها الحاضرة من الثقافة والعمران لولا امتزاج العنصر الجرمانى فى مستوطنيها الأولين » . فالطابور الخامس إن هو إلا شكل جديد للجاسوسية ، ولكنها تفوق كل أنواع الجاسوسية المعروفة بجرائمها الهائلة وغدرها الشنيع وأساليبها الفظيعة

إن أمضى سلاح استخدمته ألمانيا لاكتساح تروج هو الطابور الخامس ، وقد ذكرت الكاتبة النروجية الشهيرة « سيجريداوندست » فى ماروته عن مأساة وطنها ما يأتى :

« كان علينا ألا نتكل على حيادنا وأن نتسلح استعداداً للطوارىء . إننا قلما أكترثنا للطابور الخامس الألمانى ، فجر علينا إهمالنا محنتنا الحاضرة ، إذ فى ظلال السنوات الأخيرة كان كثيرون من شبان الألمان يأتوننا زائرين ويتوغلون فى بلادنا دارسين طبيعة أرضنا ، راسمين مواقعها الحربية وطرقها ومعابرها وكل ما يهمهم منها . وعلى الجملة كانوا يعرفون تروج أكثر من سكانها الأصليين »

وفى رأى النازيين أنهم ذوو حق شرعى فى كل بلاد يقيمون فيها . يدل على ذلك ما وجد فى ولايات البرازيل الجنوبية ، وفى شمال الأرجنتين من الألواح التى تحمل الكلمات التالية : « هذه الأرض جزء من ألمانيا »

(العصبة)